نيرون فر هاربا !

قصة : د. سيد شعبان

لم تنكشف بعد وقائع الخمسين عاما، كل ما نراه طلاء أشبه بخيط العنكبوت، حكايات تروى، أعمار ضاعت في أقبية ذلك المعتوه، ورثه أبوه وطنا كان أخضر، تناثرت حبات عقده، صبايا صرن أشباه إناث، أطفال لايعرف آباؤهم، مضى زمن زيف الشعارات التي ما أشبعت جائعا ولا روت ظمأ عاطش في سراب الحلم العربي الكبير، أكان وهما يا أيها المتلبسون بالزيف، شبع البحر من لحم الهاربين من محرقة نيرون، حين نصبوه ظنناه وديعا لقد كان طبيب عيون، غير أنه سمل عيون الرضع، سخر من أنات شعب مكلوم، نصف قرن والبعث لم يخرج غير الزقوم، ماذا يكتب السارد بل أي حكاية تروى ياشام، امتلأت بلاد الأرض بأفواج غادرت تحت جنح الظلام، براميل متفجرة وعبوات الكيماوي يا هر الشام، أدركت من تكون.

أتساءل أين أنت الآن ياجارة جارة العاصي؟

كنت حلما جميلا، في خضرة الشام، حكيت عن بردى والعاصي وساحة الأمويين، انتظرتك في غوطة دمشق، مثل طيف ربيعي غادرت، أنظر وجوه الصبايا علني أراك فيهن،.

أحقا فر ذلك الطاووس؟

لم يكن غير صدى الخيبة في وطن جريح. أبحث في أوراقي عنك، في ذكريات هاتفي علني أجد كلمة، ربما انطوت صفحة كتابك في أقبية صيدنايا، حكيت لي عن أختك التي مزق الشبيحة ثوب عفتها.

كتبت إليك يوم عيد:

حين يجمل القول شفافا خاليا من دخن أو ملتبس بظن ظاهر غير منطو على إثم ، أبيض كثلج الشام وطيبا كنيل مصر يعبق في جو رباني من طهر مشاعر وصدق إيمان تكون أخوة دين وفروسية عرب أمجاد .

تلك آخر رسالة خطها قلمي، ومن يومها لم يعد غير السراب.

يزهو العلم الأخضر فوق دمشق، مضت بلا رجعة شعارات الخوف، سيكون الشام حكاية الطنطاوي ذكرياته، قاسيون يردد أشعار شوقي، سيف الدولة المتنبي وأبوفراس في حلب، كل هذا عبق الماضي يا شام، انفتحت كوة في جدار الانكسار العربي.

تذوب الحروف، لم فعلت أيها المعتوه كل هذا؟

مسالخ بشرية أسفل قصَرك، واهما زعمت أن الملك يدوم باغتصاب النساء، كما نيرون يغني وروما تحترق، تركت صفحة في كتاب الطغيان. تحمل عار الهزيمة وجنايتك تدمير أمة،.

كنا نحسبك مثقفا غير أن كل نظريات الإجرام أتقنتها، المقصلة تليق بك، تتأرجح رقبتك في هواء دمشق، فيما مضى كنا نكتب واها دمشق، اليوم تهفو أرواحنا إلى الشام، ترنو مآقينا إلى بني أمية وصقر قريش يفتح الأندلس.